العودة إلى الجذور

صلاح صبحية

تموج الساحة الفلسطينية هذه الأيام بالعديدِ من المشاكل والهموم التي تنعكس سلباً على عموم الوضع الفلسطيني وكل هذه الأمور ما كانت وجدت لو أنّ الفلسطينيين فهموا قضيتهم جيداً فتنافسوا وتسابقوا وعملوا من أجل حلها بما يضمن لهم كافة الحقوق التاريخية فوق أرضهم التي باتت محل خلاف بينهم ، ومن هنا افترق الفلسطينيون عن بعضهم ، الأرض الفلسطينية التي هي جوهر الصراع العربي الصهيوني ، أصبحت محل خلاف بين الفلسطينيين أنفسهم ، هل هذه الأرض هي الواقعة ما بين البحر والنهر واسمها فلسطين ، أم أنّ فلسطين هي أرض الضفة والقطاع فقط ، أم أنّ فلسطين هي ما تبقى للفلسطينيين من أراضٍ في الضفة بعد أن أكلها الاستيطان دون أن يشبع منها .

وهل نحن جادون لما أعلناه عن مقاضاة بريطانيا عن جريمتها التاريخية بحقنا فوق أرضنا قبل تسع وتسعين سنة ، حينما وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا الصهاينة بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين ، فما بين الجدية والهزل بشأن مقاضاة بريطانيا على فعلها المشؤوم ، نجد أنفسنا في سباق مع الزمن ونحن نناضل ليل نهار وعبر القارات الخمس لإنجاز حل الدولتين ، دولتان على أرض فلسطين ، يصاحبها دعوة لمقاضاة بريطانيا القابلة القانونية لولادة إحدى هاتين الدولتين ، تناقض لا يقع فيه أطفال اليوم المطلعين على خِفايا مواقع التواصل الاجتماعي.المطلوب منا كفلسطينيين أن نتفق جميعاً على تحديد أرض فلسطين ، ليس في إطار الشرعية الدولية التي تخدم المشروع الاستعماري الصهيوني الاستيطاني على أرض فلسطين ، وإنما في إطار الحق التاريخي والرواية الفلسطينية التي تحدد أرض فلسطين بمساحتها الكلية البالغة (٢٧٠٠٠) كم٢ والمحددة غربا بالبحر الأبيض المتوسط وشرقا بنهر الأردن ، فإذا كانت هذه هي فلسطين التي نريدها أن تكون لنا لنقيم عليها دولة فلسطين ، فإننا مطالبون بعقد المجلس الوطني الفلسطيني بدورة عادية يشارك فيها الكل الفلسطيني ، وعلى جدولِ أعماله بندانِ هامان ، البند الأول هو تقييم ونقد المرحلة السابقة نقداً جاداً ومسؤولاً ليس من قبل القيادات السياسية فقط وإنما بوجود المفكرين والخبراء في القانون الدولي والخبراء العسكريين والاقتصاديين وباحثي التاريخ وعلماء الدين مسلمين ومسيحيين ، أمّا البند الثاني فهو نتيجة للبند الأول وعنوانه خارطة طريق للعمل الفلسطيني في المرحلة القادمة .

إذا كنا حريصين كل الحرص على قضيتنا الوطنية وحقوقنا المشروعة ، علينا أن نرمي خلافاتنا وراء ظهرنا ، ونعيد بناء وحدتنا الداخلية والعودة لتوصيف المرحلة بأنها مرحلة تحرر وطني لأنّ الغزاة الصهاينة ما زالوا يحتلون فلسطين كل فلسطين ، وأنّ الأرض المحتلة ليست الضفة والقطاع فقط وإنما هي كل فلسطين ، وإنّ الشعب العربي الفلسطيني هو كل الفلسطينيين في كافة أماكن تواجدهم داخل فلسطين وخارجها ، وأنّ جوهر الصراع مع العدو الصهيوني هو أرض فلسطين التاريخية ، وأنّ قضية اللاجئين الفلسطينيين هي الشاهد الحي على وجود القضية الفلسطينية .

إنّ إعادة اللحمة إلى البيت الفلسطيني بانعقاد الدورة العادية للمجلس الوطني الفلسطيني لا يعني العزلة الفلسطينية عن المحيط العربي والإسلامي ، وإنما العودة للتأكيد على أنّ الفلسطينيين هم رأس الحربة العربية في الصراع العربي الصهيوني ، وأنه لا يمكن للفلسطينيين أن يخوضوا صراعاً حقيقياً مع العدو الصهيوني دون الدعم العربي والإسلامي والدولي لهم .

فالمطلوب اليوم ومن حركة " فتح " تحديداً العودة إلى جذورها ، بإنهاء أزمتها الداخلية ، وانعقاد مؤتمرها السابع الذي يجب أن تتجسد فيه وحدة الحركة ، هذا المؤتمر الذي يجب أن يؤسس للوحدة الوطنية الفلسطينية التي تعمل على ترسيخ وحدة الأرض والشعب معاً ، وذلك انطلاقاً من أنّ حركة " فتح " هي حركة التحرير الوطني الفلسطيني حاملة لواء المشروع الوطني الفلسطيني وحاميته ، ومن أجل أن تعيد للشعب الفلسطيني لحمته الداخلية في إطار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد لكل أبناء الشعب العربي الفلسطيني على اختلاف أماكن تواجدهم.

يتم إرسال مقالات الكتاب على العنوان التالي jadl@albiladdaily.com

كاريكاتير أعجبني

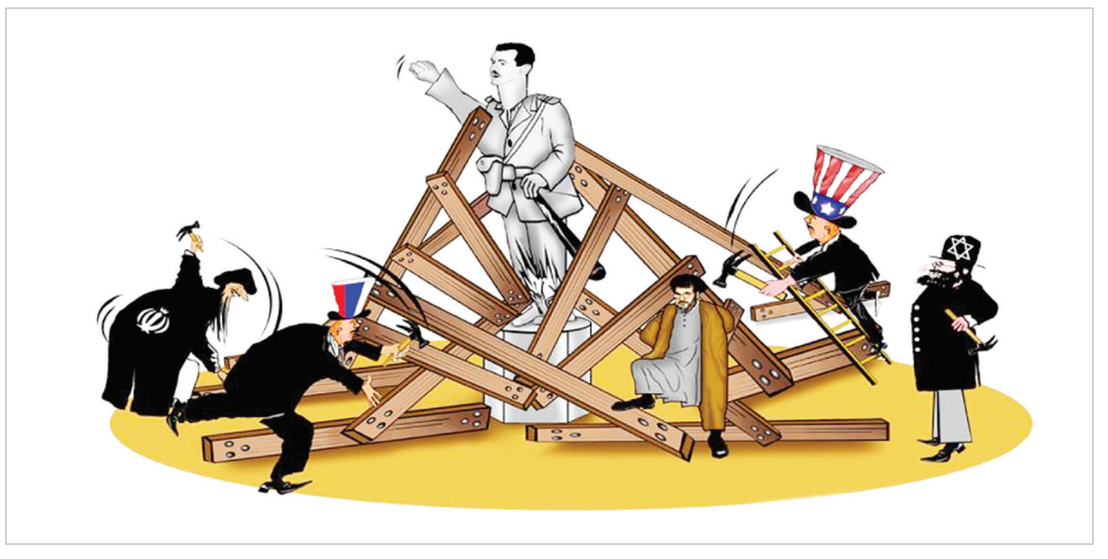

صناعة الإرهاب بفكر إيراني

أ. د بكر بن عمر العمري

يقول الله تعالى: (هل انبئكم بالاخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا). لقد جاءت التصريحات الايرانية بإرسال عشرة الاف جندي ايراني الى كل من اليمن والعراق وسوريا تدق نواقيس الخطر على أمن المنطقة بينما تلك الرسالة الايرانية تعكس إرهاب الدولة لأنها تسعى لإحداث الفرقة بين الدول العربية.

ففي الوقت الذي تواصل المملكة ودول الخليج دورها التاريخي تجاه محاربة الارهاب الايراني لوقف شلال الدماء المتفجر في اليمن والعراق وسوريا بسياسة تتسم بالقوة والفاعلية في كل المجالات فانها لا تهدأ ولا تتوقف عن كل حل سياسي ودبلوماسي فردي وجماعي من شأنه اعطاء شعوب المنطقة السلام والامن والاستقرار.

ففي الايام الماضية عُقدت اجتماعات في جدة بين وزير الخارجية الامريكية والبريطانية ووزراء خارجية مجلس التعاون الخليجي والوفد الرسمي والتي عكست رغبة المؤتمرين لمواجهة الارهاب الايراني فنحن جميعا نعرف التوجيهات الخليجية وندرك امانيهم وقدرتها على العقل والتأثير وقد اثبت بيان الاجتماع بجدة ان تحرك الدول الخليجية دائما صوب محاربة الارهاب ومواجهة مرتكبيه وصانعيه.

ووسط هذا الجهد الكبير لدول مجلس التعاون الخليجي تواصل ايران بمناوراتها على حساب العالم العربي في منطقة اليمن والعراق وسوريا على حساب دماء واشلاء واطفالها وفي اطار هذا الاسلوب الايراني في اثارة الفتن بين الشعوب والدول فان الحديث عن الفتنة وناشريها أنها تعني المخادعة والمخاتلة كما جاء في قوله تعالى : "سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا" .

واذا نظرنا الى الدور الذي تحاول ان تلعبه ايران في الازمة اليمنية خاصة والمنطقة العربية عامة فستجد انه ينطبق عليه ما ورد في حديث القرآن عن الفتن وناشريها للأسف فان قادة ايران لا يقرأون ما ورد في القرآن عن ناشري الفتنة (الارهاب) وعقاب الله لهم، أعتقد ان ما نسمعه من تصريحات ايرانية عن مخططات ومناورات ارهابية في صور مختلفة حرق السفارة السعودية في طهران ومحاولة قتل سفراء في واشنطن وبغداد ولبنان أمر لا يبشر بالخير، وان هذا السلوك الارهابي الايراني انما هو تعبير عن ايران وساستها يعيشون في اطار ما يطلق عليه (عقل في أزمة).

بكل الوضوح والحسم ان المملكة ومعها دول مجلس التعاون الخليجي عامة اكبر من كل المحاولات الارهابية الايرانية لان الحقيقة الازلية التي لا تحتمل التشكيك واللف والدوران والنفاق هي ان الدور السعودي والتحالف العربي يمضي في خدمة اليمن والدول العربية الاخرى، بل المجتمع الدولي هو دور لا يقبل المزايدة والنفاق من احد. فالمملكة وحلفاؤها اكبر من كل المزايدات الايرانية وغيرها.

لذلك اقول ان هناك ما يشبه الاجماع في المجتمع الدولي بأسره على اهمية الدور الذي تلعبه المملكة على نطاق المجتمع الانساني سواء عن تقديم منحة بمقدار ٢٧٤ مليون دولار لبرنامج الامم المتحدة بالاضافة الى مبادرات الملك سلمان الانسانية لمساعدة الشعب اليمني في معاناته وجهود المملكة خلال المهام التي قامت بها في مساهماتها في تخفيف اعباء اللاجئين السوريين في دول الجوار.

وعلى العكس في ذلك فانه يبدو لي ان ايران مستمرة في تصنيع الارهاب فاستراتيجيتها تجاه دول الخليج هي تصدير الارهاب لتثير القلاقل والقهر والتجسس بين شعوب دول مجلس التعاون الخليجي.

ان هوس ايران في الاستمرار في تطور أساليب الارهاب انه صادر من (عقل في ازمة) لان ظاهرة العقل في ازمة يعطي او يعكس صورة لدولة متمردة.. او المفهوم اكبر دقة خطر الدول الفاشلة..وهذه الحالة المرضية في التفكير لاتخاذ القرارات يجعل ايران اخطر ما يهدد الامن البشري فالعقل الذي في ازمة سرعان ما تملأه العصبيات العرقية والطائفية المذهبية مما يؤدي رسم خارطة الارهاب في كل اجواء العالم.

وفي النهاية فان ما تحدثت عنه فيما سبق هو جوهر رسالة الاسلام الذي يمثل القرآن مرجعيته حيث يقول المولى عز وجل في محكم كتابه : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) فالمملكة لن تراهن على شيء رهانها على تمسكها بالقرآن الكريم والسنة النبوية.. وهذا سر احتفاظها بثقة الجميع حتى اليوم.. بل وغداً ومستقبلا إن شاء الله تعالى.

وإذا أتتك مذمتي

مشعل الحارثي

هذه بعض المقتطفات والارقام التي قمت برصدها من خلال مابثته وسائل الاعلام خلال ايام الحج الماضية ، فقد استقبلت منافذ المملكة البرية والجوية والبحرية منذ بدء الخطة الزمنية المعدة لاستقبال الحجيج وحتى يوم السابع من ذي الحجة لهذا العام ١٤٣٧هـ (١,٣٠٠)مليون حاج من (١٦٤) جنسية ،وبلغ اجمالي حجاج هذا العام اكثر من مليوني حاج من الداخل والخارج ادوا فريضتهم في ظل خدمات عظيمة ووسط إجراءات سهلة وميسرة ومشروعات متجددة وجهود جبارة منها على سبيل المثال للحصر الكامل تجهيز(٣٥٠) الف خيمة في منى وعرفات ، تجنيد اكثر من (٣٠٠) الف من رجال الامن ووزارة الدفاع والحرس الوطني والمدنيين على مختلف الرتب لخدمة الحجيج ،توزيع (١٠) مليون نشرة توعوية بعدة لغات ، تجهيز (٢٥)مستشفى و(١٢٧) مركزا صحيا في مكة والمشاعر المقدسة وافتتاح مستشفى الحرم بطاقة (٣٠) سريرا، ومباشرة (٢٠) فرقة طبية من الخدمات الطبية بوزارة الدفاع واقامة مستشفى ميداني بعرفات بسعة (٥٠) سرير، عمل (٦٧٧) سيارة اسعاف لجمعية الهلال الاحمر السعودي ،عمل(٥٢٠٠) فرد من قوة امن المجاهدين لمراقبة الطرق الترابية والاودية لمنع مخالفي الانظمة ، انتظام (١٤٠٠) متطوع ومتطوعة للعمل في جمعية الهلال الاحمر السعودي ، وانتظام (٤٠٠) متطوع من طلاب كليات الطب بجامعات المملكة ،نشر الهواتف المجانية لتوعية الحجاج والرد على استفساراتهم على مدار(٢٤) ساعة ، توزيع اكثر من (١) مليون من عبوات مياه زمزم ،توفير اكثرمن (١٨) مليون متر مكعب من المياه المحلاة في المشاعر المقدسة وتجنيد (٢٥) فرقة لمتابعة اعطال المياه والشبكات في المشاعر المقدسة ، توزيع (٥٠٠٠٠٠) حافظة لحجارة الجمرات على الحجاج مجانا، مشاركة (٤٣٠٠) من افراد الكشافة السعودية ، توزع (٦٠) الف مظلة وسجادة للحجاج مجانا، اقامة (٢٧) مركزا للخدمات البلدية بالمشاعر المقدسة ، نقل (٢٩٦) مريضا عن طريق القافلة الصحية للوقوف بعرفات ، تقديم (٧٠٠) الف وجبة اعدتها المطابخ الصحية المتنقلة ، للحجيج ، رسائل وتغطيات اعلامية مميزة وتدشين قناة تلفزيونية جديدة باللغة الفارسية وافتتاح برج وزارة الاعلام الجديد بمنى ، توزيع اكثر من (١,٥) مليون مصحف وهدايا للحجاج المغادرين بعد اداء الفريضة ، استخدام طائرات بدون طيار لمنع وقوع أي حوادث للحجيج ، الى جانب خدمات رجال الامن الانسانية وتعاملهم الراقي ، ووقوف كبار قيادات المملكة في مختلف الوزارات والقطاعات وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز وولي عهده الامين وولي ولي عهده للاشراف والمتابعة لتنفيذ خطط الحج وتحت الاشراف المباشر والدقيق لسمو مستشار خادم الحرمين الشريفين امير منطقة مكة المكرمة الامير خالد الفيصل ومنجزاته التنموية التي لاتخطئها العين وطموحاته ورؤيته التي تسابق الزمن .

كل هذا وغيره الكثير والكثير من الخدمات والجهود التي تفصح عن نفسها ولا تحتاج الى دليل ولتؤكد ان كل هذه الجهود تأتي من منطلق استشعار المسؤولية الكاملة بقدسية المكان والزمان وشرف اداء هذه الخدمات لضيوف الرحمن ، وحسبنا في هذه البلاد ان نفخر بقيادتنا الرشيدة ورجالها المخلصين وان نفخر بوطن العز والامن والاسلام والسلام ورسالته السامية لكل شعوب الارض. وحسبنا ايضا في هذه البلاد وكما قال سمو الامير خالد الفيصل بان علينا ان نعمل ونخلص في العمل وندع الاخرين يثرثرون ولا نلتفت لكل الحاقدين والمارقين والحاسدين والطامعين والمرجفين والناقمين والساخطين ومن كل من يضمرون الشر لبلاد الحرمين واهلها ومكانتها العظيمة ولأنها ستظل امنة مطمئنة عصية على كل طامع وستظل دوما حصنا مدافعا عن الاسلام الحقيقي وبيدا ممدودة بالخير لكل المسلمين في كل مكان فالله الحمد والمنة اولا واخيرا وصدق الشاعر العربي عندما قال :

واذا اتتك مذمتي من ناقص .... فهي الشهادة لي باني كامل

إفساد للهندسة أم أن الهندسة فاسدة؟

هاني مقبول

تعاني معظم الدول النامية من ظاهرة الهيمنة الحضرية أي تركز نسبة كبيرة من السكان داخل مراكز الإقليم الجغرافي التابعة له، وهذا في الحقيقة تحضر زائف ناتج عن الهجرات الواسعة من الريف إلى المدينة وما ينتج عنه من مشكلات في الطلب على السكن والصحة و التعليم والضغط الشديد على المرافق والخدمات العامة والتي من أبرزها ظهور مشكلات المرور لاحقا ،وحيث أن التخطيط العمراني يسعى إلى تنظيم الحياة العمرانية من خلال إيجاد حلول هندسية للمشاكل العمرانية مثل التضخم السكاني، وزيادة الطلب على المساكن.

من هنا يأتي دور الهندسة الخلاق في حل هذه المشكلات عبر التخطيط السليم لمستقبل هذه المدينة وكيف يمكن أن يتحقق التخطيط مع الاستثمار النافع عن طريق تعاون الجهات المتعددة ذات الاختصاص وعلى رأسها البلدية التي هي الجهة المخولة وفق القانون في تنفيذ الرؤيا المتفق عليها مجتمعيا من خلال عمل المخططات التنظيمية اللازمة،مركزاً على أن الاستثمار والمشروعات الاستثمارية لا تتنافى إطلاقا مع التخطيط السليم، بل هي إحدى الوسائل والدعائم لتطوير أي مدينة أو منطقة أو حي، ويجب أن لا تغفل المشروعات الاستثمارية البتة وإن أغفلت فقد يستحيل التطوير ولكنها يجب أن تنطلق من مخطط شامل واضح يراعي كل الجوانب التي يراعيها في العادة التخطيط السليم ويحدد بشكل لا يقبل الالتباس أو التسويف أو تعليق الأمور على غيبيات أو موارد غير مضمونة بحيث يعرف مسبقا من الذي سيقوم بتنفيذ هذه الخدمة أو تلك، وهذه البنية التحتية والأخرى، وهذه الشوارع ودوائرها، ومتى ستنفذ ؟! وخاصة ما يقع منها خارج نطاق المشروعات الاستثمارية وبحيث نضمن تكامل البنية التحتية والخدمات جميعها وإتباع الإجراءات الخاصة بالترخيص المعتمدة من جهة الاختصاص (وزارة الحكم المحلي) من اجل إيصال الخدمات المتعلقة بالبنية التحتية وغيرها من الامور مثل خطوط المياه وتنكات المياه والارتدادات والمناور ليستفيد منها جميع سكان المدينة دون استثناء.والأعمال الهندسية التي تمارسها المكاتب الهندسية من ضمن الأدوات الرئيسية للبدء في عملية الحصول على التراخيص المختلفة اللازمة لعملية البناء، وذلك لضمان مطابقتها لأنظمة السلامة العامة وتحديدا الوضع الإنشائي للمبنى وديمومته وسلامة أنظمة إدارة الكوارث بمختلف أشكالها.

> **هل الهندسة التي وجدت لتوفير الراحة للسكان في كافة المجالات والتي تعتمد على التخطيط الأمثل للعلاقة ما بين الأرض والسكان؟**

ولذلك فان أي خلل ناتج مستقبلا في المبنى يتحمل مسؤوليته المقاول والمكتب الهندسي والمالك مجتمعين، مع ضرورة أن يكون هناك مكتب إشراف هندسي خارجي على جميع أعمال البناء بعيدا عن السابقين كليا.

فهل من المعقول (على سبيل المثال لا الحصر) عدم وجود خطة عمل واضحة لدى البعض عند قيامهم بعملية الجرف لأعماق كبيرة، وان هذه العملية بحاجة إلى تكنولوجيا متطورة بالرجوع إلى خصائص التربة وطبيعة المكان المراد البناء عليه ، الأمر الذي يستدعي وجود مهندسين مقيمين ذوي خبرة واختصاص للإشراف الكامل على هذه الأعمال وخاصة أعمال الجرف والجدران الاستنادية.

ومن الملاحظ كذلك عدم توفير بعض هذه المخططات لمواقف السيارات اللازمة حسب الأصول والانظمة والقوانين المتبعة، وان وجدت بعض هذه الكراجات فقد اتضح أن بعضها لا يعمل بسهولة ويسر، أي أنها كراجات وهمية .

والسؤال الذي يطرح نفسه بوضوح، هل الهندسة التي وجدت لتوفير الراحة للسكان في كافة المجالات والتي تعتمد على التخطيط الأمثل للعلاقة ما بين الأرض والسكان،و تسخير الاستثمار الملتزم لدعم التخطيط السليم لا لتشويه هذه العلاقة وفرض الواقع المستقبلي ، هل من الممكن أن تتهم الهندسة بارتكاب هذه الأخطاء الشائعة والمتكررة؟

إننا في هذه الحالة نظلم الهندسة ونقول أنها محاولات واضحة لإفسادها بقصد أو بدون قصد، ولحرفها عن الطريق الصحيح لها.

تحديات لا يمكن مواجهتها باليأس والإحباط

صبحي غندور

"لم يكن لقطعة الفأس أن تنال شيئاً من جذع الشجرة لولا أن غصناً منها تبرّع أن يكون مقبضاً للفأس" – أقوال مجهول

هل ما يحدث الآن على الأرض العربية هو فقط متغيّرات سياسية محلية تتدخّل فيها، وتتجاوب مع تفاعلاتها، قوى إقليمية ودولية؟ أم أنّ هذه المتغيّرات هي قطعة فقط من صورة مرسومة مسبقاً لتغيير جغرافي وديمغرافي منشود لدول عربية عديدة؟ ألم تكن الحرب على العراق في العام ٢٠٠٣، وما أفرزته من واقع حال تقسيمي للدولة والشعب والثروات، وما مثلته هذه الحرب من تداخل بين الصراعات المحلية والإقليمية والدولية، كافية لتكون درساً مهمّاً للعرب من أجل تحسين نظم الحياة الداخلية في مجتمعاتهم وتحصينها ضدّ التدخّل الخارجي؟! ثمّ ألم يكن درس تقسيم السودان في مطلع العام ٢٠١١ مؤشراً عن المصير المرغوب لأوطان عربية أخرى؟!.

فما يحدث الآن في داخل أوطان من مشرق الأمّة ومغربها، وفي عمقها الإفريقي، هو دلالة هامّة على نوع وحجم القضايا التي تعصف لعقود طويلة بالأرض العربية، وهي كلّها تؤكّد الترابط الحاصل بين الأوضاع الداخلية وبين التدخّلات الخارجية، بين الهموم الاجتماعية والاقتصادية وبين فساد الحكومات السياسية، بين الضعف الداخلي الوطني وبين المصالح الأجنبية في هدم وحدة الأوطان.

نعم، صحيحٌ أنّه كانت هناك دائماً صراعاتٌ إقليمية ودولية على المنطقة العربية وثرواتها، لكن ما هو قائمٌ من خلل سياسي داخلي وبيئة طائفية انقسامية هو الذي يشجّع على التدخل الخارجي من أطراف عديدة، أخطرها الطرف الإسرائيلي، والذي يجد في الحروب الأهلية العربية فرصة ذهبية لتحقيق جملة أهداف؛ بينها تهديم الكيانات العربية الحالية، وإنشاء دول طائفية ومذهبية كنموذج مطلوب إسرائيليا لكل بلدان المنطقة العربية.

إنّ الأمّة العربية ليست ساحة صراع إقليمي/دولي فقط، هي أمّة مستهدَفة بذاتها وبثرواتها وبأرضها وبوحدة كياناتها. وما لم تنهض هذه الأمّة وتصحّح واقعها، فإنّ التمزيق سيزداد، وستتحوّل الصراعات الإقليمية/الدولية إلى حروب أهلية عربية تفرز كيانات متصارعة إلى أمد طويل، ولن ينفع عندها تغيير الأشخاص أو السياسات في واشنطن أو في المنطقة العربية أو في غيرها من الدول الإقليمية والدولية.

هي مرحلة مختلفة تماما عمّا كان عليه واقع العرب قبل نصف قرن، حينما القضايا والساحات العربية موحّدة كلها في مواجهة التحديات والصراعات، وحيث لم يعرف ذاك الزمن التمييز على أساس الانتماءات الوطنية أو الطائفية أو الإثنية. فالبلاد العربية كانت آنذاك إمّا تحرّرت حديثاً من حقبة استعمارية أوروبية أو تخوض ثورات التحرّر من أجل استقلال الأوطان عن مستعمر أجنبي. لكن في الحالتين، كان هناك إدراك عربيٌ عام للرابطِ المهم بين الهمّ الوطني وبين القضية الفلسطينية، بين مواجهة المستعمر الأوروبي للأوطان وبين مواجهة المحتل الصهيوني لأرض فلسطين، الذي اغتصب هذه الأرض العربية الفلسطينية بفعل دعم المستعمر ذاته. فالقضية الوطنية كانت هي قضية قومية مشتركة، والعكس صحيح. وكانت القضية الفلسطينية هي القضية المركزية لكل العرب إلى حين منتصف السبعينات من القرن الماضي حيث بدأت حروبٌ أهلية عربية على أكثر من جبهة، متزامنة مع عزل مصر عن أمّتها العربية بسبب "معاهدات كامب ديفيد" والصلح المنفرد مع إسرائيل.

ولقد انشغل بعض العرب خلال السنوات الخمس الماضية في "جنس شياطين" حكامهم بينما أبواب أوطانهم تُخلع واحداً بعد آخر، بل إنّ أساسات بعض هذه الأوطان تتهدم وتتفكك ليُبنى عليها "مستوطنات" عربية جديدة بأسماء دينية أو إثنية!.

> **قضايا التحرّر والهُويّة القومية والعدالة الاجتماعية ومقاومة الاحتلال ومحاربة الظلم أينما كان وكيفما كان، هي كلها قضايا إنسانية عامّة لا ترتبط بمنهجٍ فكري محدّد**

وجيّد أن يُدرك الآن الكثيرون من العرب ما كنّا نحذر منه منذ بداية الانتفاضات الشعبية من مخاطر غموض طبيعة الثورات وعدم وضوح برامجها ومن يقودها، ومن التبعات الخطيرة لأسلوب العنف المسلح ولعسكرة الحراك الشعبي السلمي، وأيضاً من عبثية المراهنة على التدخل العسكري الخارجي، ونتائجه– في حال حصوله– على وحدة الشعوب والأوطان.

ونعم هناك ضرورة قصوى للإصلاح والتغيير في عموم المنطقة العربية، ولوقف حال الاستبداد والفساد السائد فيها، لكن السؤال كان، وما يزال، هو كيف، وما ضمانات البديل الأفضل، وما هي مواصفاته وهويّته؟! فليس المطلوب هو هدم الحاضر دون معرفة بديله في المستقبل، أو كسب الآليات الديمقراطية في الحكم بينما تخسر الأوطان وحدتها أو تخضع من جديد للهيمنة الأجنبية، إذ لا يمكن الفصل في المنطقة العربية بين هدف الديمقراطية وبين مسائل الوحدة الوطنية والتحرّر الوطني والهويّة العربية.

فالصراعات والتحدّيات وحركة التغيير، هي قدَر الأرض العربية على مدار التاريخ، لكن ما يتوقّف على مشيئة شعوبها وإرادتهم هو كيفيّة التعامل مع هذه التحدّيات، وهو أيضاً نوعية التغيير الذي يحدث على كياناتها وفي مجتمعاتها.

إنّ صعوبة الظروف وقلة الإمكانات وسوء المناخ السياسي والإعلامي المسيطر، تلك عناصر لا يجب أن تدفع من يرفضون واقع العرب اليوم، لليأس والإحباط، بل إلى مزيد من المسؤولية والجهد والعمل. فالبديل عن ذلك هو ترك الساحةً تماما لصالح من يعبثون في وحدة بلدان هذه الأمّة ويشعلون نار الفتنة في رحابها.

إنّ بعض الناس (كأفراد أو كجماعات) تكون إرادتهم مُسيّرة من قبَل آخرين، بفعل ظروفٍ الحاجة أو بسبب الضغوط وعناصر ألقوة التي تفرضها إرادة البعض المتمكنين بالمال أو بالسلطة، وفق ما يُعرف بمصطلح "الترغيب والترهيب" أو "القدرة على المنح والمنع". وهنا يحصل الفارق، بين من إرادتهم الذاتية مشلولة ويعيشون حياتهم في خدمة إرادة آخرين، وبين من إرادتهم حرّة لكن يعانون من "الترهيب أو المنع". ويحصل هنا أيضا الفارق بين من يرضون العيش في حالة الرضوخ لإرادة الآخرين، فتكون إرادتهم مُهمَّشة، حتى لو تبوّأوا المناصب أو لمعت أسماؤهم في وسائل الإعلام، وبين من يرفضون هيمنة الآخرين على إرادتهم، ويصرّون على مواجهة الواقع المرفوض رغم كل العقبات، وعلى هؤلاء تقع مسؤولية إنقاذ الأمّة قبل فوات الأوان.

ولم تعد القضية الفلسطينية تعني الكثير لغير الفلسطينيين من العرب، بل للأسف أصبحت أيضا قضية "التحرّر الوطني" عموما مسألة فيها "وجهة نظر"!! إذ لم يجد البعض مشكلة في طلب التدخل العسكري الأجنبي في قضايا وطنية داخلية!!.

فهي الآن حالة معاكسة تماما لما كان عليه العرب قبل نصف قرن: تهميش للقضية الفلسطينية وطلب تدخل عسكري أجنبي ومعايير طائفية ومذهبية وإثنية، مقابل ما كان من مركزية للقضية الفلسطينية وأولويّة لمعارك التحرّر الوطني من المستعمر الأجنبي ومعايير وطنية وقومية لا طائفية ولا إثنية.

إنّ قضايا التحرّر والهُويّة القومية والعدالة الاجتماعية ومقاومة الاحتلال ومحاربة الظلم أينما كان وكيفما كان، هي كلها قضايا إنسانية عامّة لا ترتبط بمنهج فكري محدّد. فلا الدين يتعارض مع هذه القضايا ولا الابتعادُ عنه يعني تخليا عنها. وهناك أمثلة عديدة عن مجتمعات كافحت من أجل هذه القضايا لكن اختلفت دوافعها الفكرية ونظرتها لدور الدين في الحياة.